الرسالة

(٢ كور ٤: ٦–١٥)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ الذي أمرَ أن يُشرقَ من ظُلمةٍ نورٌ هو الذي أشرَقَ في قلوبِنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيةٍ خَزَفيَّة ليكونَ فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا* مُتضايقينَ في كُلِّ شيءٍ ولكن غير مُنحصرين. ومُتحيِّرينَ ولكن غيَر يائسين* ومُضطَهدين ولكن غيَر مخذولين. ومطروحين ولكن غيَر هالكين* حاملِين في الجسدِ كلَّ حينٍ إماتَةَ الربِّ يسوعَ لتظهرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادنا* لأنَّا نحنُ الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائِتَة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذْ فينا روحُ الإيمانِ بعينه على

حول الرسالة

يُقرأ على مسامعنا، اليوم، فصلٌ من رسالة القدّيس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس (٢كو ٤: ٦–١٥). يُظهر كاتب الرسالة، في هذا المقطع، أنّ سلطته كرسول مستمَدَّة من الله. يشرقُ الله نورَه في قلب الرسول لكي ينقل وجه الربّ يسوع المسيح إلى الآخرين، لذلك فإنّ الفضل يعود لله وحده، لأنّ الرسول، كغيره من البشر، هو مائتٌ، لكنّ الله يقيمه مع المسيح.

العدد ٢٠١٩/٣٩

الأحد ٢٩ أيلول

تذكار أبينا كرياكوس السائح

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الرابع

بدءًا، لا بدّ من أن نظهر الخلفيّة التي ينطلق منها الرسول بولس في هذا المقطع، حتّى ندرك أهمّيّته فيكون لنا درسًا في حياتنا اليوم. يدافع الرسول، في القسم الأكبر من رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس، عن رسوليّته والسلطة التي أُعطيت له كرسول من الله، ذلك بسبب جماعةٍ دخلت كنيسةَ كورنثوس وبثّت أفكارًا تشكّك بكفاءة بولس، وقد سمّاهم بولس نفسُه بالرسل الكذبة (١١: ١٣). ربّما كانت هذه الجماعة المعارِضة له من المسيحيّين الإرساليّين المتجوّلين الذين لديهم جذور هللّينيّة–يهوديّة، وقد اتّهموا بولس الرسول بأنّ حيازته للروح القدس ناقصة، كما سعوا إلى تنصيب أنفسهم، بدلًا منه، رسلًا شرعيّين حاملين للروح، بسبب مواهبهم الروحيّة وقدرتهم على صنع العجائب.

لقد واجه الرسول بولس مسألة التشكيك برسوليّته في عدّة أماكن، وقد استعمل خصومُه هذه الوسيلة لإبطال تعليمه في كورنثوس وغلاطية وفيلبّي وغيرها. رغم أنّ خصومه كانوا من خلفيّات مختلفة، إلّا أنّ لما واجهه الرسول بولس من خطر وجهان: الأوّل من ناحية الرسول وتعليمه، والثاني من ناحية متلقّي التعليم، أي المؤمنين.

من الناحية الأولى، كان الرسول بولس قاطعًا في موقفه القائل بأنّه لا يمكن أن تكون هناك بشارتان، أي إنجيلان، أو أكثر. ثمّة إنجيل واحد فقط، هو الذي نقله الرسول بولس، وهو مبنيّ على تعليم الكتاب المقدّس، وقد وافقه بذلك أعمدة الكنيسة آنذاك: بطرس ويعقوب

ويوحنّا. هذه البشارة هي التي تنقل إلينا صورة الربّ يسوع المسيح الحقيقيّة، وأيّ بشرى ثانية تنقل إلينا صورةً زائفة عن الربّ يسوع، أي تنقل يسوعًا مغايرًا (٢كو ١١: ٤) هي زائفة.

برهن الرسول بولس أنّ عنده كامل مقوّمات الرسوليّة، على صعيد فحوى البشارة، كما على الصعيد الشخصيّ. يمكنه أن يفتخر أمام الجميع بما يمتلك من صفات. غير أنّه أدرك، منذ البداية، أنّ عليه الافتخار فقط بالمسيح الذي أنعم عليه بأن يكون رسولًا، ليس لأنّه مستحقّ (فهو كان يضطهد كنيسة المسيح)، بل لأنّ الربّ هكذا شاء. ما يتمتّع به على الصعيد الشخصيّ اعتبره نفايةً لكي يأخذ الأجرة من الله. لقد استعبد نفسه لله، لكي تكون حياته من الله فقط وليس من قدرته هو.

بهذه الطريقة، قطع الرسول الطريق أمام الافتخار بالذّات، هذا الخطر الذي يواجهه كلّ رسول، وكلّ معلّم. إنّه خطر السلطة الذي يؤدّي غالبًا إلى أن يُظهر الرسول أو المعلّم نفسه بدلًا من الربّ يسوع، ويصير هو المرجع وليس من أوكله بهذه الخدمة. هذا ما وقع فيه خصوم الرسول بولس، إذ حاولوا أن ينشئوا أحزابًا، ويستعبدوا سامعيهم حتّى يعملوا أمورًا تخالف وصايا الله (غل ٦: ١١–١٣). كان الرسول بولس قاسيًا جدًّا في وصفهم بأنّهم يغشّون كلمة الله (٢كو ٢: ١٧)، وهم «رسلٌ كذبة، فعلة ماكرون، مغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح. ولا عجب، لأنّ الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيمًا إن كان خدّامه أيضًا يغيّرون شكلهم كخدّام البرّ، الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم» (٢كو ١١: ١٣–١٥).

من ناحية ثانية، وعى الرسول بولس نتيجة استخدام السلطة الرسوليّة في غير محلّها، وهي أنّ السامعين معرّضون لأن يتبعوا الرسول وليس الربّ يسوع الذي أوكله بمهمّة الرسول. لا يثق الإنسان عادةً إلّا بما هو محسوس، لذلك يسعى وراء مَن لديه القوّة ليجد طمأنينةً وملاذًا آمنًا من ضغوط الحياة، وهو بهذه الطريقة يتعلّق بصاحب السلطان ويعتبره مرجعه. هكذا، يستفيد الرسول «الكاذب» من هذا الوضع ليُخضع سامعيه لمشيئته. هذا ما حاربه الرسول بولس، مشدّدًا على أنّ وجه الربّ يسوع المسيح، الذي هو صورة الله، هو المبتغى (٢كو ٤: ٤–٦). ما الرسول إلّا الوسيلة التي يستخدمها الله للوصول إلى شعبه: «فمَن هو بولس، ومَن هو أبلُّوس؟ بل خادمان آمنتم بواسطتهما، وكما أعطى الربّ لكلّ واحد: أنا غرستُ وأبلّوس سقى، لكنّ الله كان يُنمي. إذًا ليس الغارس شيئًا ولا الساقي، بل الله الذي يُنمي» (١كو ٣: ٥–٧). يصف الرسول بولس نفسه بأنّه إناءٌ خزفيّ (٤: ٧)، وجسد مائت (٤: ١١)، لكي تظهر من خلاله قوّة الله (٤: ٧). لكنّه لا يتنازل عن موقعه كخادم للمسيح وعبدٍ له، مستعدٍّ لأن يكون عبدًا لسامعيه حتّى يجلبهم إلى المسيح (٤: ٥).

من هنا، تدعونا الكنيسة المقدّسة، من خلال المقطع الذي سمعناه، أن ننتبه إلى ما نتلقّاه من تعليم من جهة، وألّا نقع في فخّ السلطة فنتبع الخادم عوض السيّد من جهة ثانية. إذًا، المطلوب هو وجه الربّ يسوع المسيح الذي هو صورة الله وحده.

حسبِ ما كُتِبَ إنّي آمنتُ ولذلك تكلّمتُ فنحنُ أيضاً نؤمِنُ ولذلك نتكلّمُ* عالمينَ أنَّ الذي أقام الربَّ يسوعَ سيُقيمُنا نحنُ أيضاً بيسوعَ فننتصِبَ معَكم* لأنَّ كلَّ شيءٍ هو من أجلِكم لكي تتكاثرَ النعمةُ بُشكرِ الأكثرينَ فتزدادَ لمجدِ الله.

الإنجيل

(لوقا ٦: ٣١–٣٦)

قال الرب كما تريدونَ أن يفعلَ الناسُ بكم كذلك افعلوا أنتم بهم* فإنَّكم إن أحببتُم الذين يُحبُّونَكم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضًا يُحبُّون الذين يحبُّونهم* وإذا أحسنتم إلى الذين يُحسِنون إليكم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضًا هكذا يصنعون* وإن أقرضْتُمُ الذينَ تَرجونَ أن تستَوفوا منهم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضًا يُقرِضونَ الخطأة لكي يستوفوا منهمُ المِثْل* ولكِن أحِبُّوا أعداءَكم وأحْسِنوا وأقرِضوا غيرَ مؤمِّلين شيئًا فيكونَ أجرُكم كثيرًا وتكونوا بني العليّ. فإنَّه مُنعِمٌ على غيرِ الشاكرينَ والأشرار*

فكونوا رُحماءَ كما أنَّ أباكم هو رحيمٌ.

تأمل

قلب محبِّ الربّ لا ينعس أبدًا بل يسهر من جرّاء قوّة محبّته. النفس المشغوفة بالله تتفكّر بأقواله وتُمضي وقتها في مظالّه، وترنّم له وتسبّحه بلا انقطاع، وتخدمه بحماسة. المحبّة الإلهيّة تستحوذ على هذه النفس بكلّيتها وتهذّبها. مغبوطةٌ هي النفس المُحبّة لله، لأنّها التقت الديّان الإلهيّ الذي أفعم رغباتها. كلُّ رغبة، كلُّ عاطفة، كلُّ ميل غريبٍ عن المحبّة الإلهيّةَ، تطرحه بعيدًا عنها كمُحتقَرٍ وغير لائقٍ بها. النفس المجروحة بالمحبّة الإلهيّة تفرح في كلّ حين. إنّها في البهجة، ترتكض فرحًا، ترقص، إذ تجد ذاتها مستريحةً في محبّة الربّ كما لو على مياهٍ هادئة. لا شيء ممّا يُحزن في هذا العالم قادرٌ على تعكير هدوئها وسلامها. ما من شيء مُحزنٍ قادر على انتزاع فرحها وبهجتها.

المحبّة الإلهيّة تولّد الإلفة مع الله، والإلفة تولّد الجرأة، والجرأة الطَّعم، والطعم الجوع. النفس التي مُسّت بالمحبّة الإلهيّة تتنهّد بلا انقطاعٍ قائلة: «يا ربّ متى أظهر أمام وجهك؟ تشتاق

القدّيس ديونيسيوس الأريوباغي

وُلد القدّيس ديونيسيوس في أثينا (القرن الأوّل)، حيث تلقّى كلّ العلوم التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ثمّ انتقل إلى مصر حيث درس علم الفلك. يُقال إنّه عندما كان في مصر، وأثناء دراسته حركةَ الكواكب، شاهد كسوف الشمس الذي حدث عند موت الربّ يسوع على الصليب (لو ٢٣: ٤٤–٤٦)، وقد علّق على هذا الكسوف غير المُفَسَّر علميًّا قائلًا: «إمّا خالق هذا الكون يتألّم الآن، أو العالم المرئيّ بدأ في الزوال». عندما عاد إلى أثينا، اختيرَ ليكون عضوًا في مجمع الآريوس باغوس (محكمة أثينا العليا). يرد في سِفر الأعمال (١٧) أنّ الرسول بولس بشّر أهل أثينا، أثناء تواجده فيها، من خلال عظةٍ ألقاها على قمّة قرب الآريوس باغوس، وقد كان القدّيس ديونيسيوس حاضرًا، فاقتبل الإيمان المسيحيّ، وبقي لثلاث سنين يرافق الرسول بولس في رحلاته التبشيريّة، قبل أن يعيّنه أسقفًا على أثينا.

لقد سافر القدّيس ديونيسيوس إلى أورشليم ليقابل والدة الإله العذراء، كذلك كان حاضرًا عند دفنها. كتب لمعلّمه الرسول بولس واصفًا زيارته: «ما عدا الربّ نفسه، أُقسم أنّه لا يوجد أحد آخر مملوء قوّةً إلهيّةً ونعمةً مثل العذراء القدّيسة. لا أحد يستطيع فهم ما رأيت. أعترف بأنّي، لمّا كنت مع الرسول يوحنّا الذي كان متلألئًا بين الرسل كالشمس في السماء، وعندما كنت في حضرة العذراء الكلّية القداسة، خالجني شعورٌ يفوق الوصف. شعرت بإشعاعات إلهيّة حرّكت روحي. أدركت رائحة العطر المفعم بهجةً الذي لا يوصف، لدرجة أنّ جسدي أصبح ضعيفًا، وروحي بالكاد تحمّلت علامات المجد الأبديّ والقوّة السماويّة. ملأتْ نعمتُها قلبي وهزّت روحي. لو لم آخذ تعليماتك في الاعتبار، لكنتُ اعتبرتُها الإله نفسه. يستحيل أن أكون بحضرة نعمةٍ أكبر من هذه التي عاينتُها».

بعد استشهاد الرسول بولس، أراد القدّيس ديونيسيوس متابعة عمل معلّمه، فسافر إلى الغرب وبشّر في روما وألمانيا وإسبانيا، وعمّد كثيرين قبل أن يُعتَقَل في بلاد الغال (فرنسا) بسبب حملة الاضطهاد التي شنّها الإمبراطور دوميتيوس على المسيحيّين، ويُقطع رأسه.

كتابات القدّيس ديونيسيوس الأريوباغي مهمّة جدًّا في لاهوت الكنيسة الأرثوذكسيّة. بقي لدينا أربعة كتب من أعماله حتّى يومنا: «في الطغمات السماويّة»، «في الطغمات الكنسيّة»، «في أسماء الله» و«في اللاهوت الأسراريّ»، إضافةً إلى عشر رسائل مُرسَلَة إلى أشخاص مجهولين.

يُعتقد أنّه كتب كتاب «حول الطغمات السماويّة» في أحد بلدان أوروبا الغربيّة حيث كان يبشّر. في هذا الكتاب يتحدّث عن التعاليم المسيحيّة حول عالم الملائكة قائلًا إنّ الطغمات الملائكيّة هي تسع: السيرافيم، الشيروبيم، العروش، السيادات، القوّات،

السلاطين، الرئاسات، رؤساء الملائكة والملائكة. يعتبر قدّيسنا أن هذا التقسيم هدفه الارتقاء نحو التألّه من خلال تطهير النفس. المراتب الملائكيّة العليا هي حاملة للنور الإلهيّ، أما السفلى فهي حاملة للحياة الإلهيّة. من جهة ثانية، يقول إنّ النور الإلهيّ ليس محصورًا فقط بالملائكة غير المتجسّمين، بل إنّ الإنسان أيضًا أصبح شريكًا لها بعدما قدّس الربّ يسوع الجنسَ البشريّ من خلال تجسّده، وأصبحت كنيسة المسيح أيضًا حاملةً هذا النور الإلهيّ.

كتاب القدّيس ديونيسيوس «حول الطغمات الكنسيّة» هو تكملة لكتابه الأوّل. المراتب الكهنوتيّة في كنيسة المسيح وُضعتْ، كالطغمات السماويّة، على أساس المبادئ الكهنوتيّة التي حدّدها الله في الكتاب المقدّس. يقول إنّ النعمة الإلهيّة، بالنسبة إلى أبناء الكنيسة، تحلّ بشكل لا يوصف في العالم الدنيويّ من خلال أسرار الكنيسة المقدّسة، التي هي روحانيّة بطبيعتها، رغم مادّيّتها في الشكل. قليلون، حتّى بين النسّاك، كانوا القادرين أن يعاينوا أسرار الله المقدّسة بعيونهم الدنيويّة. خارج أسرار الكنيسة، خارج المعموديّة والإفخارستيا، لن نجد نعمة الله الحاملة النور، ولا حتّى المعرفة الإلهيّة أو التألّه.

في كتابه «في أسماء الله» يشرح طريق المعرفة الإلهيّة من خلال تقديم الأسماء الإلهيّة. بكلام آخر، يتحدّث فيه القدّيس ديونيسيوس عن الله والعلاقة بين الأقانيم الثلاثة، ذاكرًا كلّ الصفات الإلهيّة التي استخدمها الكتاب المقدّس والرسل في كلامهم على الله.

أما كتابه «في اللاهوت الأسراريّ» فيمهّد للتعليم حول المعرفة الإلهيّة. لاهوت الكنيسة الأرثوذكسيّة مبنيّ على عيش المعرفة الإلهيّة. لكي تعرف الله، عليك أن تكون معه، أن تقترب منه، حتّى تعاينه وتتّحد به فتتألّه. هذه الحالة ممكنة فقط من خلال الصلاة، ليس لأنّ الصلاة بذاتها تقرّبنا من الإله غير المدرَك، بل لأنّ نقاوة القلب المصلّي تقرّبه من الله.

تحتلّ كتابات القدّيس ديونيسيوس الأريوباغي مكانةً رفيعة في لاهوت الكنيسة الأرثوذكسيّة، وقد كان الأمر سيّان في اللاهوت الغربيّ خلال العصور الوسطى. حُفظت هذه الأعمال حتّى القرن السادس، أي طوال أربعة قرون، وقد استخدمها عدّة آباء قدّيسين ومعلّمين كإقليمس الإسكندريّ وأوريجنّس وغريغوريوس اللاهوتيّ، لذلك يُعتبر القدّيس الشهيد في رؤساء الكهنة وأسقف أثينا ديونيسيوس من أبرز الكتّاب اللاهوتيّين في كنيستنا، فبشفاعاته أللهمّ ارحمنا وخلّصنا، آمين.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

نفسي إليك يا الله، كما يشتاق الأيّل إلى مجاري الماء الحيّ (مز ٤١: ١). أيّتها المحبّة الحقيقيّة والثابتة! أيّتها المحبّة، مثال الصورة الإلهيّة! أيّتها المحبّة، فرح نفسي العذب! أيّتها المحبّة تأمّل فكري المتواصل! بقدرتك المحيية تشدّدين قوّة نفسي. فأنت كنز المؤمنين الأثمن وهبة المواهب الإلهيّة الأوفر كرامة، أنت تجعلين المؤمنين بنين لله، أنتِ زينة المؤمنين والمشرّفة لأصدقائك، أنت الخير الدائم لأنّك سرمديّة، أنت وشاح الجمال لأصدقاء الله، أنتِ مصدر الطيّبات اللذيذة لأنّكِ ثمر الروح القدس، أنتِ تدخلين المؤمنين المقدَّسين إلى ملكوت السموات. بكِ يشترك المؤمنون في فردوس المشتهيات، بكِ يبزغ نور الشمس الروحيّة في النفس، بكِ يولد فينا اشتهاء السموات، أنتِ التي تنشرين السلام على البشر، أنتِ التي توحّد البشر والملائكة، أنتِ الغالبة في كلّ شيء، أنتِ الكائنة فوق كل شيء، أنتِ الضابطة الكون حقًّا، أنتِ التي تسوس العالم بحكمة، أنتِ، لا تسقطين أبدًا!».

القديس نكتاريوس